# ١٢ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

## فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

ـ أو ليس البواسل من الرجال يحملون الموت ، لأنهم يخشون ما هو أعظم من الموت شراً ؟

ـ هذا صحيح

ـ إذن فكل الناس ما خلا الفلاسفة شجعان ، إلا أنها شجاعة من الخوف والوجل . وإنه لعجيب ولا شك أن يكون الرجل شجاعاً لأنه مذعور جبان !

ـ صحيح جداً

ـ أو ليس هذا بعينه شأن المعتدلين ؟ إنهم معتدلون لأنهم مفرطون ـ قد يبدو ذلك متناقضاً ، ولكنه مع ذلك هو ما يحدث في هذا الاعتدال الأحمق ـ فهناك من اللذائذ ما يحرصون على تحصيلها ويخشون ضياعها ، فهم لذلك يتعففون عن نوع من اللذات لأن نوعا آخر قد استولى عليهم ، وإذا عرّف التفريط بأنه : « الخضوع لسلطان اللذة » فانهم لا يقهرون لذة ، الاّ لأن لذة تقهرهم ، وذلك ما أعنيه بقولي إنهم معتدلون لأنهم مفرطون

ـ يظهر أن ذلك حق

ـ ومع ذلك ، فليس من الفضيلة استبدال خوف أو لذة أو ألم بخوف آخر أو لذة أو ألم ، وهي متساوية كلها ، أكبرها بأصغرها ، تساوي النقد بالنقد . أي عزيزي سمياس ، أليس في النقد قطعة واحدة صحيحة هي التي ينبغي أن تستبدل بالأشياء جميعاً ؟ ـ وتلك هي الحكمة ، ولن يشترى شيء بحق أو يباع ، شجاعة كانت أم عفة أم عدلاً ، إلا إن كان للحكمة ملازماً ، وإلا إن كانت هذه الحكمة له بديلاً . ثم أليست الفضيلة الحق بأسرها رفيقة الحكمة ، بغض النظر عما قد يكتنفها أو لا يكتنفها من المخاوف واللذائذ أو ما إليهما من الخيرات أو الشرور ؟ إلا أن الفضيلة التي يكون قوامها هذه الخيرات التي تأخذ في استبدال بعضها ببعض بعد أن تكون قد انفصلت عن الحكمة ، ليست من الفضيلة إلا ظلها ، ولا يكون فيها من الحرية أو العافية أو الحقيقة شيء ، أما التبادل الحق فيقتضي أن تمحى هذه الأشياء محواً ، وما ظهورها إلا العدل والشجاعة والحكمة نفسها . وإني لأتصور أن أولئك الذين أنشأوا الأسرار ، لم يكونوا مجرد عابثين ، بل قصدوا إلى الجد حينما عمدوا إلى شكل فرمزوا به إلى أن من يمضي إلى العالم الأسفل دنساً جاهلاً سيعيش في حمأة من الوحل ، أما ذلك الذي يصل إلى العالم الآخر بعد التعليم والتطهير فسيقيم مع الآلهة . وكما يقولون في الأسرار : « كثيرون هم من يحملون عصا السحر ، أما العالمون بالسحر فقليل » (١) وهم يريدون بهذه العبارة فيما أرى ، الفلاسفة الحق ، الذين أنفقت حياتي كلها أبحث بينهم لعلي أجد مكاناً ، ولست أشك في أنني عند ما أبلغ العالم الآخر ، بعد حين قصير ، سيأتيني إن شاء الله علم يقين ، عما إذا كنت قد التمست في البحث سبيلاً قويمة أم لا ، وإن كنت قد أصبت التوفيق أم لم أصبه . أي سمياس وسيبس ، لقد أجبت بهذا على أولئك الذين يؤاخذوني بعدم الحزن أو الجزع لفراقكم وفراق سادتي في هذا العالم ، فقد أصبت بعدم الخوف لأنني أعتقد أنني سأجد في العالم الأسفل أصدقاء وسادة آخرين ، يعدلونكم خيراً ، ولكن الناس جميعاً لا يسيغون هذا ، وإنه ليسرني أن تصادف كلماتي عندكم قبولاً أكثر مما صادفت عند قضاة الأثينيين

ـ أجاب سيبيس ـ إني موافقك يا سقراط على معظم ما تقول ، ولكن الناس أميل إلى عدم التصديق فيما يتصل بالروح . إنهم يخشون ألا يكون لها مستقرٌ إذا ما فصلت عن الجسد ، وإنها قد تذوى وتزول في يوم الموت ذاته ـ فلا تكاد تنحلل من الجسد حتى تنطلق كالدخان أو الهواء ، ثم تتلاشى في العدم . فلو قد تستطيع أن تتماسك أجزاؤها ، وأن تظل كما هي بعد أن تكون قد خلصت من شرور الجسد ، لرجونا يا سقراط ، محققين فيما نرجو ، أن ما تقوله حق ، ولكنا بحاجة إلى كثير من الأقناع ووفير من

(١) يريد سقراط بهذا القول كله أن الفيلسوف يفهم الخير والشر خلافا لما يفهمه منهما سائر الناس ، فعامة الناس لا يقفون مواقف الشجاعة إلا حينما يتهددهم خطر أعظم مما هم فيه ، فان أقدموا مثلا على الموت فلانهم يخشون العار أو الهزيمة أو ما إليهما مما يعتبر شراً من الموت ؛ كذلك من يزعمون في أنفسهم العفة ، لا يمتنعون عن لذة إلا لأنهم يطمعون في أكبر منها . أما الفيلسوف الحق فيحتقر هذه الموازنة بين اللذة والألم ، ولا يعترف بفضيلة إلا إن كانت ملازمة للحكمة ؛ وكل الفضائل بما فيها الحكمة نفسها إن هي في نظر الفيلسوف إلا طهور للنفس من أدرانها ؛ وذلك ما عناه مؤلفو الأسرار حينما قالوا : كثيرون هم من يحملون عصا السحر ولكن العالمين بالسحر قليل

الحجج ، لاثبات أنه إذا مات الانسان فروحه تظل مع ذلك موجودة ، وتكون على شيء من قوة الذكاء

ـ فقال سقراط ـ هـذا حق يا سيبيس ، فهل لى أن أقترح حديثاً قصيراً عما يحتمل لهذه الأشياء من وجوه ؟

ـ قال سيبيس ـ لست أشك فى أنى شديد الرغبة فى معرفة رأيك عنها

ـ فقال سقراط ـ لا أحسب أن لأحـد ممن سمعنى الآن ، حتى ولو كان أحد أعدائى القدماء من الشعراء الهازلين ، أن يتهمنى بالخبط فى الحديث عن موضوعات لا شأن لى فيها . فأذنوا إن شئتم بأن نمضى فى البحث

إن مشكلة أرواح الناس بعد الموت : أهى موجودة فى العالم الأسفل أم غير موجودة ، يمكن مناقشتها على هذا النحو : يؤكد المذهب القديم الذى كنت أتحدث عنه ، أنها تذهب من هذا العالم إلى العالم الآخر ، ثم تعود إلى هنا حيث تولد من الميت ، فان صح هذا وكان الحى يخرج من الميت ، للزم أن تكون أرواحنا فى العـالم الآخر ، لأنها إن لم تـكن ، فكيف يمكن لها أن تولد ثانياً ؟ إن هـذا القول حاسم ، لو كان ثمت شاهد حقيق على أن الحى لا يولد إلا من الميت ، أما اذا لم ينهض على هـــذا دليل ، فلا بد من سوق أدلة أخرى

فأجاب سيبيس ـ هذا جد صحيح

ـ إذن فدعنا نبحث هـذه المسألة ، لا بالنسبة إلى الانسان وحده ، بل بالنسبة إلى الحيوان عامة ، وإلى النبات ، وكل شئ يكون فيه التوالد ، وبذلك تسهل إقامة الدليل . أليست كل الأشياء التى لها أضداد تتولد من أضدادها ؟ أعنى الأشياء التى كالخير والشرير ، والعادل والجائر ـ وهناك من الأضداد الأخرى التى تتولد من أضدادها ، عدد ليس إلى حصره من سبيل ، وإنما أريد أن أبرهن على أن صحة هذا القول شاملة لما فى الكون من أضداد ، أعنى مثلاً أن أى شئ يكبر ، لا بد أنه قد كان أصغر قبل أن أصبح أكبر

ـ صحيح

ـ وأن أى شيء يصغر ، لا بد أنه قد كان يوماً أكبر ثم صار أصغر

ـ نعم

ـ وأن الأضعف يتولد من الأقوى والأسرع من الأبطأ

ـ جد صحيح

ـ والأسوأ من الأحسن ، والأعدل من الأظلم ؟

ـ بالطبع

ـ وهل هذا صحيح عن الأضداد كلها ؟ وهل نحن مقتنعون بأن جميع الأضداد ناشئة من أضداد ؟

ـ نعم

ـ ثم أليس ثمت كذلك فى هذا التضاد الشامل بين الأشياء جميعاً ، فعلان أوسطان ، لا ينفكان يسيران من ضد الى الضد الآخر جيئة وذهاباً ؛ فحيث يوجد أكبر وأصغر ، يوجد كذلك فعل متوسط بينهما ، يعمل للزيادة والنقصان ، ويقال للشيء الذى ينمو إنه يزيد ، وللشيء الذى يتناقص إنه يذوى

فقال ـ نعم

ـ وهناك غير ذلك عمليات كثيرة أخرى ، كالتجزئة والتكوين والتبريد والتسخين ، التى تتضمن تساوياً بين ما يخرج من شيء وما يضاف الى شيء آخر . أليس ذلك صحيحاً بالنسبة الى الاضداد كلها ، حتى ولو لم يعبر عنها باللفظ دائماً ـ فهى تتولد الواحد من الآخر ، وثمت انتقال ، أو فعل ، بين بعضها وبعض

ـ فأجاب ـ هذا جد صحيح

ـ جميل ، أفليس هناك ضد للحياة ، كما أن النوم ضد اليقظة ؟

ـ فقال ـ بل هذا حق

ـ وما هو ذاك ؟

ـ فأجاب ـ هو الموت

ـ فان كان هذان ضـدين ، فهما متولدان إذن أحدهما من الآخر ، وبينهما كذلك فعلان أوسطان ؟

ـ بالطبع

( يتبع ) زكى نجيب محمود


الرواية المسرحية فى التاريخ والفن

بحث مفصل تناول أطوار الرواية وأنواعها وقواعدها ومذاهبها من العصور اليونانية إلى اليوم تجده منشوراً فى كتاب

فى أصول الأدب

الذى صدر هذا الأسبوع